الفصل الثامن

«إيزنهاور» و«دالاس» والصراع اللدود

"لقد اتضح الآن أننا في مواجهة عدو عنيد، جاهر بأن هدفه المعلن هو السيطرة على العالم بأي وسائل وبأي ثمن، ولا توجد قواعد تحكم هذه اللعبة. ومن ثم فإن معايير السلوك الانساني المقبولة لا تسري هنا، لذا يتعين علينا تطوير إدارات للتجسس ولمقاومة التجسس، كما يجب أن نتعلم أن نخرب ونقوض أعداءنا بوسائل أكثر مهارة، وأكثر تطوراً وأكثر فاعلية عن تلك الوسائل المستخدمة ضدنا"

(لجنة «دولتيل» المكلفة من قبل الرئيس إيزنهاور في ١٩٥٥، باستقصاء أنشطة وكالة المخابرات المركزية وإمداده بتقرير عنها)

لقد أعلن جنرال إيزنهاور ـ أثناء حملته لانتخابات الرئاسة فى ١٩٥٢ ـ أننا «لن يهدأ لنا بال، حتى تحصل كل الدول المستعبدة فى العالم على حقها المطلق فى حرية اختيار طريقها فى الحياة. حينئذ ـ وفقط حينئذ ـ يمكن أن نقول إن هناك طريقاً محتملاً للتعايش فى سلام دائم مع الشيوعية فى العالم».

إن بيان إيزنهاور ـ مثله فى ذلك مثل معظم بيانات الحملات الانتخابية ـ أخذ فى اعتباره طرفى نقيض التوجهات السياسية، فبالنسبة للتوجهات الجريئة، أفصح عن

سياسة تحررية، وبالنسبة للتوجهات الحذرة أفصح عن رغبته فى التعايش السلمى مع الشيوعية فى يوم من الأيام.

كان التركيز على التحرير، ولقد كان «جون فوستر دالاس» خبير السياسة الخارجية بالحزب الجمهورى ـ الذى تولى صياغة معاهدة السلام مع اليابان، والذى أصبح وزير للخارجية فى عهد إيزنهاور ـ أكثر وضوحاً من إيزنهاور. فقد هاجم سياسة الاحتواء، وشبهها بسياسة الطاحونة لأن «أقصى ما يمكنها أن تحققه هو احتمال إبقائنا فى نفس المكان حتى نسقط من الإعياء»، كما أنها مثلت عبئاً ثقيلاً على دافعى الضرائب، بالإضافة إلى أنها لم تكن «مصممة لإحراز نصر حاسم». وكان أحد البنود الرئيسية فى البرنامج السياسى للحزب الجمهورى، يصف سياسة الاحتواء بأنها «سلبية ولا طائل منها وغير أخلاقية»، لأنها تخلت عن «عدد لا حصر له من البشر، وسلمتهم للطغيان والاستبداد وإرهاب الإلحاد». كان ذلك تلميحاً إلى أن نجاح الحزب الجمهورى فى تولى السلطة سوف يستتبع مقاومة موجة الإلحاد، ليس فقط فى أوروبا الشرقية، بل أيضاً فى آسيا. كما أن البرنامج السياسى شجب سياسة الحزب الديمقراطى لوضع آسيا فى آخر أولوياتها، معلناً: «ليست لدينا النية فى التضحية بالشرق، من أجل اكتساب بعض الوقت للغرب».

إن الانتصار الساحق الذى حققه إيزنهاور ـ فى ١٩٥٢ ـ رجع إلى مزيج من عدة عوامل، كان أهمها الشعبية الطاغية لشخصية إيزنهاور، بالإضافة إلى الفساد فى إدارة ترومان، واتهامات سيناتور «ماكارثى» بتسلل الشيوعيين داخل الحكومة (أعلن أحد بنود البرنامج السياسى أنه «لايوجد شيوعيون فى الحزب الجمهورى»)، كذلك وعد أيزنهاور بالذهاب إلى كوريا ليضع نهاية للحرب هناك. لكن أحد الأسباب الجوهرية للإعجاب بفريق «إيزنهاور ـ دالاس»، كان رفضه لسياسة الاحتواء، إن تعهد الحزب الجمهورى بالتصرف حيال الاستعباد الشيوعى (وإن لم يتضح إطلاقاً ما هو هذا التصرف بالضبط)، ترتب عليه تحول ملايين الناخبين من الحزب الديمقراطى إلى تأييد الحزب الجمهورى، خاصة من جانب هؤلاء الذين ترجع

أصولهم إلى دول أوروبا الشرقية. لقدحصد «إيزنهاور» ما زرعه «ماكارثى»، وبدلاً من رفض سياسة الدولية والرجوع إلى سياسة العزلة، كان الحزب الجمهورى يقترح التقدم إلى ما وراء سياسة الاحتواء؛ أى إنهم سيكونون أكثر استعداداً من ترومان لإتباع سياسة خارجية نشطة فى المجال الدولى.

إن وعود الحزب الجمهورى بتحرير المستعبدين، مثل: برامج القرن التاسع عشر لتحرير العبيد من الزنوج، أدت ـ منطقيا ـ إلى سياسة واحدة فقط، فحيث إن ملاك العبيد لم يطلقوا سراحهم طواعية، وحيث إنه لم يكن باستطاعة العبيد أن يدبروا ثورتهم بأنفسهم بسبب الرقابة المحكمة عليهم، إذن كان يتعين على هؤلاء الذين تمنوا تحرير العبيد، أن يحاربوا من أجل تحريرهم. إلاّ أن الحرب ـ فى النصف الثانى من القرن العشرين ـ كانت عملية مختلفة تماماً عما كانت عليه من قبل، منذ مائة عام؛ إن محاولة تحرير العبيد الآن ستؤدى إلى تدمير كثير من دول العالم، وإلى سفك دماء معظم هؤلاء العبيد اثناء تلك المحاولة.

وكان هناك قيد جوهرى آخر كبير على حرية التصرف. إن الحزب الجمهورى كان مؤمناً بسياسة مالية حذرة، شددت على أهمية تحقيق التوازن فى الموازنة العامة وتخفيض الضرائب. وفيما عدا «دالاس» فإن كل أعضاء وزارة إيزنهاور البارزين كانوا من رجال الأعمال الذين اعتقدوا أن عدم توازن الموازنة العامة الفيدرالية يعد عملا لا أخلاقى. ومع ذلك لم يكن من الممكن تخفيض نفقات الحكومة إلا عن طريق تخفيض موازنة وزارة الدفاع، وهو ما بدأ الحزب الجمهورى فى تنفيذه، فأدت التخفيضات إلى زيادة صعوبة عملية «التحرير».

وفى كوريا، فى يوليو ١٩٥٣، وقع «إيزنهاور» على هدنة أعادت الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل الحرب؛ مما أثار غضب الجنرال «ماك آرثر» والرئيس الكورى «سينجمان رى» وعديد من الجمهوريين، الذين كانوا يبغون الاستمرار فى القتال حتى يتم تحرير كوريا الشمالية، وهى السياسة التى صدّق عليها إيزنهاور فى بيانه،

الذى قال فيه «لن يهدأ لنا بال». إلا أن إيزنهاور تراجع بعد أن فكر فى استخدام الأسلحة الذرية قورر أن ثمن النصر سيكون باهظاً، ولذا لجأ إلى إقرار السلام.

لذلك، فإن واقع الأمر أن «إيزنهاور ودالاس» استمرا فى سياسة الاحتواء؛ إذ لم يكن هناك اختلاف أساسى بين سياستهما الخارجية، وبين سياسة «ترومان وأتشيسون». إن البيانات التى أدليا بها فى الحملة الانتخابية ظلت تطاردهما، لكنهما نجحا فى تجنب الإحراج الناتج عن ذلك القصور فى العمل بإلقاء الخطب الرنانة، لقد قال «إيزنهاور» «لن يهدأ لنا بال»، ولكنهما لم يعاينان من عدم هدوء البال إلا فى خطاباتهما التى عبرت بدقة عن افتراضات ورغبات ملايين الأمريكيين.

لقد تفوق «دالاس» على الجميع فى وصفه لرأى الشعب الأمريكى فى الشيوعية. لقدكان مسيحياً مخلصاً، محامى شركات ذائع الصيت، ومغروراً إلى حد ما، وثقته مطلقة فى صلاحيته وصلاحية أمته؛ لذا كانت كل معتقداته التى لا تتزعزع، مبنية على أساس الأفكار الأمريكية الشائعة؛ كما أنها كانت لا تختلف كثيراً عن معتقدات«ترومان» أو «أتشيسون» أو الناس فى شارع «مين» بمدينة «أيوا» أو شارع «ماديسون» بمدينة نيويورك. كان كل العالم يريد أن يحذو حذو الولايات المتحدة، لقد تطلع عامة الشعب ـ فى كل مكان ـ الى الزعامة الأمريكية؛ فقد كانت الشيوعية شراً خالصاً فرض عن طريق التآمر على شعوب لاحول لها ولا قوة، سواء جاءت من الخارج مثلما حدث فى أوروبا الشرقية، أو نبعت من الداخل مثلما حدث فى آسيا، ولا يمكن أن يكون هناك تصالح مع الشيوعية بصفة دائمة، لأنه «صراع لدود لا يمكن تسويته».

لقد ساعدت خطابات «دالاس» مثل خطابات إيزنهاور على إخفاء حقيقة أنهما لم يفعلا أى شئ تجاه وعودهما بتحرير المستعبدين، ولكن، ربما كان عزوفهما عن المجازفة بالأرواح الأمريكية كان أكثر أهمية لشعبيتهما، حيث إنهما كانا فى تلك النقطة أيضاً يعبران عن أعمق مشاعر مواطنيهم. فى بعض الأحيان، كان الجمهوريون يلوحون بالسيوف ويعبئون الجو باتهامات وإدانات للشيوعيين، ولكنهم أيضاً أنهوا

الحرب الكورية، وخفضوا الضرائب على الشركات، وخفضوا حجم القوات المسلحة. ورغم الضغوط الحادة، والإغراءات العظيمة، فإنهم لم يخوضوا أية حروب، وكانوا على استعداد لتزويد الآخرين بالمعدات ـ فى نطاق محدود ـ ليتولوا محاربة أعدائهم، ولكنهم رفضوا أن يزجوا بالشباب الأمريكى إلى الصراع الدائر. ومثلما فعل «ترومان»، بذلوا كل ما فى وسعهم لاحتواء الشيوعية، ولكنهم لم يحذوا حذوه، عندما لم يستخدموا قوات أمريكية لتحقيق ذلك الهدف. ولم يكونوا على استعداد لإقرار السلام مع الشيوعيين، إلا أنهم رفضوا أن يدخلوا حروباً جديدة. لقد قامت خطاباتهم بتوفير الراحة العاطفية للجماهير الأمريكية، ولكن أفعالهم فشلت فى تحرير عبد واحد.

وعندما تولى الجنرال «مارشال» منصب وزير الخارجية، كان يشكو من أنه لم تكن لديه القوة اللازمة لمساندة سياسته الخارجية، ووافقه «ترومان»، وبذل كل ما فى وسعه لزيادة القوات المسلحة. ولكن «دالاس» لم يتقدم بمثل تلك الشكوى، لقد أدى عمله باستخدام ما كان متاحاً له ـ والذى فاق بكل تأكيد ما كان متاحا لـ«مارشال» فى١٩٤٨ـ لأنه كان متفقاً مع الحزب الجمهورى فى التزامه بالانضباط المالى.

ووضحت حدود ذلك الالتزام فى «الرؤية الجديدة»، وهو المصطلح الذى ابتكره «إيزنهاور» لوصف سياسته العسكرية، التى كانت مزيجاً من الاعتبارات الداخلية والعسكرية والخارجية معاً. لقد رفضت «الرؤية الجديدة» ما قدمته الوثيقة رقم ٦٨ لمجلس الأمن القومى الأمريكى ـ التى افترضت أن الولايات المتحدة يمكنها أن تنفق حتى ٢٠٪ من إجمالى الناتج المحلى فيها على السلاح ـ كما رفضت تمويل العجز فى الميزانية، وأيدت سياسة الاحتواء.

لقد بدأ سريان سياسة الرؤية الجديدة فى وقت كان التوتر فيه أقل حدة، فقد انتهت الحرب الكورية، وتوفى ستالين، فبدا العالم أقل خطراً. وكانت الرؤية الجديدة مبنية ـ بدرجة كبيرة ـ على نجاح برنامج الوثيقة رقم ٦٨ لمجلس الأمن القومى الأمريكى؛ إذ أن العامين الأولين من سياسة «الرؤية الجديدة» شهدا ذروة القوة

العسكرية النسبية للولايات المتحدة فى الحرب الباردة، ولقد أوضح «صمويل هنتينجتون» فى هذا الصدد أن «الحقيقة العسكرية الأساسية للرؤية الجديدة، كانت التفوق الأمريكى الساحق فى الأسلحة النووية، وفى وسائل إلقائها». وفى الفترة فيما بين ١٩٥٣ و١٩٥٥ كان فى وسع الولايات المتحدة تدمير الاتحاد السوفيتى فعلا، مع ضآلة احتمال أن يكون لانتقام روسيا عواقب وخيمة، ومن هنا فإن حقيقة أن الولايات المتحدة لم تفعل ذلك أشارت إلى سياسة ضبط النفس التى اتبعتها إدارة «إيزنهاور» بعكس ما كانت تردد فى خطاباتها.

لقد أصبحت «الرؤية الجديدة» سياسة ثابتة خلال فترة تميزت بقلة التوترات والتفوق العسكرى الأمريكى، ولكنها لم تعتمد على أىّ من هذين العاملين فى استمرارها. وخلال الثمانى سنوات التى استمرت فيها إدارة «إيزنهاور» فى السلطة تعرضت لخطر الحرب عدة مرات، وشهدت تطوير السوفييت لقاذفات القنابل بعيدة المدى، وللصواريخ البالستيكية، والأسلحة النووية. ومع ذلك، فقد تمسك إيزنهاور ـ خلال كل ذلك ـ بسياسة الرؤية الجديدة، واستمرت نفقات وزارة الدفاع فى حدود ٣٥ إلى ٤٠ بليون دولار.

كان أساس سياسة الرؤية الجديدة قدرة الولايات المتحدة على بناء وإلقاء الأسلحة النووية. وبعبارة أوضح ارتكزت سياسة إيزنهاور العسكرية على قدرة الولايات المتحدة على تدمير الاتحاد السوفيتى. إن الخطوات الواسعة التى حققها السوفييت فى التكنولوچيا العسكرية، منحتهم القدرة على الانتقام، وليس القدرة على الدفاع عن روسيا، وهذا هو السبب الجوهرى وراء قبول إيزنهاور لسياسة الكفاية فى السلاح؛ إذ لم تكن الولايات المتحدة مضطرة إلى التفوق على الاتحاد السوفيتى لكى تستطيع نسفه.

ومع ذلك، لم يكن من السهل التنازل عن التفوق، فقد تمسك به كثير من الأمريكيين خاصة العسكريين منهم. لقد واجه إيزنهاور صعوبات جمة مع الجيش، الذى كان يعانى من رفض الرئيس زيادة موازنة وزارة الدفاع. واعتراضاً على ذلك،

استقال ثلاثة من رؤساء أركان الحرب بالجيش، أحدهم «ماكسويل تايلور» الذى أصبح ـ فيما بعد ـ كبير مستشارى الشئون العسكرية لخليفة إيزنهاور. وكان الجيش يريد قدراً من المرونة كافياً لمواجهة الخطر الشيوعى على أى مستوى كان. وكانت حجة رؤساء أركان الجيش أن عيب سياسة «الرؤية الجديدة» ، أنها وضعت أمريكا فى موقف الاستجابة لأى خطر يهددها باستخدام كل شئ، أو لا شئ على الإطلاق. وكان رؤساء الأركان يريدون أن تكون لديهم القدرة على التحرك أينما وحينما يتفجر الصراع، وليتمكنوا من ذلك كانوا فى حاجة إلى جيش مستعد ضخم العدد، به فرق متخصصة، ووحدات من الصفوة، وتشكيلة واسعة من الأسلحة، ووسائل نقل ذات طاقة هائلة.

أصر إيزنهاور على أن القدرة على التدخل فوراً ـ فى أى مكان ـ ستتكلف مبالغ طائلة. وفى أغسطس ١٩٥٦ كتب الرئيس إلى صديق له «دعنا لا ننسى أن مهمة القوات المسلحة هى الدفاع عن «أسلوب حياة، وليس مجرد الدفاع عن الأرض أو الممتلكات أو الأرواح» وكان يبغى إقناع رؤساء الأركان بالحاجة إلى «الموازنة بين الحد الأدنى للمتطلبات الحربية باهظة التكاليف، وبين ازدهار اقتصادنا» كما أبلغ الجمعية الأمريكية لرؤساء تحرير الصحف فى ١٦ أبريل ١٩٥٣ : «كل مدفع يتم إنتاجه، وكل سفينة حربية يتم تدشينها، وكل صاروخ يتم إطلاقه، يدل ـ فى آخر المطاف ـ على سرقة من هؤلاء الذين يعانون من الجوع، ولا يجدون الطعام، وهؤلاء الذين يقاسون من البرد ولا يجدون ما يسترهم» ثم أشار إلى أن تكلفة مدمرة واحدة للبحرية، تساوى تكلفة المنازل الحديثة الجديدة اللازمة لثمانية آلاف فرد.

ومع ذلك، فقد وضع رؤساء أركان الجيش أيديهم على أوجه القصور الواضحة فى سياسة «الرؤية الجديدة» والانتقام الشامل. فحاول «إيزنهاور» و «دالاس» تعويض العجز بضم حلفاء ـ كما حدث فى الحرب العالمية الثانية ـ يمكنهم أن يتولوا مهمة المعارك البرية التى يجب خوضها. وأوضح إيزنهاور سبباً واحداً لذلك، فأشار إلى أن «تكلفة إبقاء جندى أمريكى واحد تصل إلى ـ ٣٥١٥٠ دولار سنوياً، بينما تصل

تكلفة الجندى الباكستانى إلى ٤٨٥ دولار، واليونانى إلى ٤٢٤ دولار». وكان ذلك تبريراً وجيها من الناحية الاقتصادية، ولكنه كان هزيلاً من الناحية السياسية، حيث إن الباكستانيين واليونانيين لم يكونوا تواقين لخوض حروب الولايات المتحدة.

كانت سياسة الرؤية الجديدة تعنى أن «إيزنهاور» قد تخلى عن تأييده السابق لإجراء مناورات عسكرية عالمية، وما افترضته من أن الحرب التالية ستكون مشابهة للحرب العالمية الثانية. والأهم من ذلك، أنه تخلى عن فكرة خوض الولايات المتحدة لأية حروب كورية أخرى؛ فقد أكدت سياسة «إيزنهاور» على أهمية كلّ من الأسلحة النووية التكتيكية، ودور القوة الجوية الاستراتيچية كرادع للعدوان. كما استخدام التكنولوچيا للتقريب بين الأهداف السياسية المتضاربة، فكانت إن قاذفات القنابل الضخمة التى تحمل الأسلحة النووية هى الوسيلة التى استخدمها إيزنهاور للتوفيق بين تخفيض النفقات العسكرية، وبين سياسة خارجية مبنية على احتواء الخطر الشيوعى.

لقد نجحت الرؤية الجديدة فى تشكيل السياسة الخارجية، واضطر «دالاس» إلى التلويح بالقنبلة النووية ـ التى كانت سلاحه الوحيد تقريباً ـ كلما أراد أن يهدد باستخدام القوة. ولكى يصبح التهديد مقنعاً، لجأت الولايات المتحدة إلى تطوير وإنتاج أسلحة ذرية صغيرة، يمكن استخدامها تكتيكيا فى ميدان المعركة. ثم حاول «دالاس» أن يقنع العالم أن الولايات المتحدة لن تتردد فى استخدامها. لقد بدا التهديد مقنعاً بسبب صغر حجم قوات حلف شمال الأطلنطى، حيث لم تكن هناك وسيلة أخرى لصدّ الجيش الأحمر فى أوروبا. ولقد أصرّ كلّ من «دالاس» و«إيزنهاور» على أن يكون ذلك أمراً واضحاً للسوڤييت؛ إذ قال «دالاس» إنه إذا وجدت الولايات المتحدة نفسها مشتبكة فى مواجهة عسكرية كبرى.. «فإنها سوف تستخدم هذه الأسلحة، لأنها أصبحت أسلحة تقليدية أكثر من ذى قبل، بحيث حلت محل ما كان يطلق عليه الأسلحة التقليدية». بينما أعلن إيزنهاور: «إذا كانت هذه الأشياء سوف تستخدم لضرب أهداف عسكرية بحتة... فإننى لا أرى مبرراً لعدم استخدامها، بالضبط كما لو كنت تستخدم رصاصة أو أى شئ آخر».

لقد أطلق «دالاس» على هذه السياسة اسم سياسة الانتقام الشامل. وفى خطاب ألقاه فى يناير ١٩٥٤ ، استشهد بآراء لينين وستالين، لكى يكشف أن خطة السوفييت كانت تشتيت العالم الحر ثم تدميره بلطمة واحدة. وتمسك «دالاس» بأنه يجب على الولايات المتحدة أن ترد على تلك الاستراتيجية بالإبقاء على احتياطى استراتيجى ضخم فى الولايات المتحدة، واتخذت إدارة إيزنهاور قراراً بأن «تعتمد ـ أساساً ـ على القدرة الساحقة على الانتقام فورا باختيار الوسائل والأماكن التى تناسبنا».

استخدم دالاس «الانتقام الشامل» كأداة رئيسية لسياسة الاحتواء وأطلق على طريقته الشمولية: سياسة الوصول إلى حافة الهاوية، التى فسرها فى مقالة فى مجلة «لايف» قائلا: «يجب عليك أن تجازف من أجل السلام، تماماً مثلما يجب أن تجازف فى الحرب، إن البعض يقول إنه تم دفعنا إلى شفا الحرب وهذا صحيح، إن المقدرة على الوصول إلى الحافة بدون التورط فى الحرب، هى الفن اللازم هنا... وإذا حاولت أن تفر من المواجهة، أو إذا انتابك الذعر وخشيت الذهاب إلى حافة الهاوية فإنك سوف تخسر كل شئ... لقد تعين علينا أن ننظر إليها وجهاً لوجه.. فسرنا إلى حافة الهاوية، ونظرنا إليها وجهاً لوجه. لقد تصرفنا من موقف القوة».

لقد أقر «دالاس» ضمنياً قيود سياسة الموقوف على حافة الهاوية، فلم يحاول أبداً استخدامها للتحرير، وقلت إشارته لها كثيراً بعد أن أصبح فى مقدور السوفييت أن يهددوا الولايات المتحدة ذاتها بالدمار. لقد كانت وسيلة «تكتيكية» لتأييد سياسة الاحتواء بثمن مقبول، وفى خلال فترة زمنية محدودة، وتحت ظروف عسكرية معينة، ولم تكن استراتيجية لصراع ممتد.

فى مقالة بمجلة «لايف» ، ذكر «دالاس» ثلاثة أمثلة للوصول إلى حافة الهاوية، كانت كلها فى آسيا. أولها كان فى كوريا، عند ما تولى إيزنهاور الرئاسة فى يناير ١٩٥٣ ، توقفت مباحثات الهدنة عند مسألة تبادل أسرى الحرب؛ إذ أرادت الصين أن تستعيد كل رجالها المحتجزين لدى قيادة الأمم المتحدة، بينما أصرت الولايات

المتحدة على تبادل اختيارى كان معناه أن يبقى آلاف الصينيين والكوريين الشماليين فى كوريا الجنوبية، لأنهم لم يرغبوا فى العودة إلى الشيوعية. وكان «ترومان» و«أتشيسون» أول من أثارا القضية، فكان بإمكانها تحقيق السلام فى أوائل ١٩٥٢ لو أنهما وافقا على الإجراء المعتاد ـ الذى تم حسمه فى القانون الدولى ـ بإعادة كل الأسرى. ولكنهما قررا أن يقدما ملاذاً لهؤلاء الأسرى الذين أرادوا أن يرتدوا، ولذا استمرت المباحثات ـ والحرب.

وحيث إن «إيزنهاور» كان مصمماً على تقليل الخسائر والانسحاب، فقد أصدر إنذاراً بأنه ما لم تنته الحرب بسرعة، فقد تلجأ الولايات المتحدة إلى الانتقام «تحت ظروف نحددها نحن». وفى ٢ فبراير، فى أول رسالة للرئيس "State of the Union" قال إنه لم يعد هناك «أى معنى أو منطق» من وراء كبح جماح «تشيانج»، ولذا فإن الأسطول السابع للولايات المتحدة «لن يتولى بعد ذلك مهمة حماية الصين الشيوعية». عندئذ، بدأ «تشيانج» فى شن غارات بالقنابل على ساحل الصين، مما دفع الصين إلى الموافقة على استئناف مباحثات الهدنة، وهكذا حقق إيزنهاور هدفه عن طريق التهديد بتوسيع نطاق الحرب.

ثم قام «دالاس» بإنذار بكين (عن طريق الهند) بأنه إذا لم يحل السلام فسوف تجلب الولايات المتحدة أسلحة ذرية إلى المنطقة. وبعد مرور أحد عشر يوماً وافقت الصين على أن تضع مسألة تبادل الأسرى فى أيدى هيئات دولية محايدة.

وهكذا، أحرزت سياسة الانتقام الشامل نجاحاً فى أول إختبار لها؛ ومع ذلك، فسرعان ما ظهرت نذر التشاؤم من المستقبل. كانت سياسة «دالاس» مبنية على رؤية قطبية للعالم، والتى كانت ـ باستخدام تشبيهاته المنمقة ـ الخير ضد الشر أو الاحرار ضد العبيد، ولكن من الناحية العملية كانت تعنى أن موسكو وواشنطن تحكمان العالم. كان مؤمناً أنه بإمكان الولايات المتحدة اتخاذ القرارات الجوهرية للعالم الحر، وأن روسيا ستتخذ تلك القرارات للشيوعيين؛ لقد رفض أن يتخيل ـ أو حتى يدرك ـ

وجود اختلافات فى العالم، لأنه اعتقد أن كل القضايا المهمة كانت مرتبطة بالحرب الباردة، ولذا لم يتقبل وجهة نظر المدافعين عن أن صراع الشرق والغرب لم تكن له علاقة بكثير من المشاكل العالمية. واتضح تعبيره السلبى عن مفهومه للقطبية الثنائية من خلال شجبه لسياسة الحياد التى كان يصفها بأنها غير أخلاقية.

المثال الثانى لتطبيق سياسة الوقوف على حافة الهاوية كان فى ڤيتنام؛ ففى ديسمبر ١٩٥٢، وافقت إدارة «ترومان» فى آخر فترة توليه الرئاسة على تخصيص مبلغ ٦٠ مليون دولار، لتدعيم جهود الفرنسيين ضد «هوتشى مينه» قائد الكتيبة الشيوعية الڤيتنامية، وكان «ترومان» ـ ومن بعده «إيزنهاور» ـ قد وصف «هوتشى مينه» بأنه عميل شيوعى لبكين وموسكو، وبذا صوّر حرب فيتنام على أنها مثال آخر للعدوان الشيوعى.

لقد داوم «إيزنهاور» على حث الفرنسيين أن يعلنوا، بطريقة لا لبس فيها، عن أنهم سيوافقون على الاستقلال التام لڤيتنام، بمجرد انتهاء الحرب؛ كما أن «إيزنهاور» قال إنه قدم إلى فرنسا «جميع العروض الممكنة لطرح الحرب على أساس دولى» بمعنى توضيح أنه كان صراعاً بين الشيوعية والحرية، وليس ثورة ضد الاستعمار. كان منطق «إيزنهاور» أنه إذا كانت فرنسا قد وافقت على تعهدها بالاستقلال، ومع ذلك استمر «هوتشى مينه» فى القتال، فإنه لا يمكن لاتباع «مينه» الإدعاء بأنهم يسعون لتحرير الأمة، وبالتالى يتضح أنهم أدوات شيوعية تعمل لصالح موسكو، وحينذاك كان يمكن لبريطانيا والولايات المتحدة أن تتدخلا فى الصراع لصد عدوان «خارجى».

كانت فرنسا ـ من جانبها ـ على أتم الاستعداد للتباحث حول الخطر الشيوعى، للحصول على مساعدات أمريكية، ولكن لم يكن لديها أدنى استعداد للتنازل عن ڤيتنام، وكانت فرنسا واثقة أن أعداءها داخل ڤيتنام وليسوا فى بكين أو موسكو، وكانت عاقدة العزم على الاحتفاظ بالقوة الحقيقية. ولم يكن لدى فرنسا أى اعتراض على رغبة الولايات المتحدة فى محاربة الشيوعية، ولكن كان اهتمامها الأساسى ينصب على استمرار سيطرتها على ڤيتنام.

obeikandi.com

لكن الحرب أخذت مجرى لم يكن فى صالح فرنسا، ففى أوائل ١٩٥٤ كان الشيوعيون الڤيتناميون «ڤيت مينه» مسيطرين على نصف البلاد، أما فرنسا فكانت قد وضعت أفضل قواتها فى حامية منعزلة شمال «هانوى»، كان اسمها «ديان بيان فو» وتحدت «الڤيت مينه» أن يقتربوا منها. لقد افترض الفرنسيون أن الآسيويين سينهارون إذا واجهوا معركة مكشوفة، ولكن النتيجة جاءت على عكس ذلك. وبحلول أبريل كانت الحامية الفرنسية فى «ديان بيان فو» فى مأزق. وفى ذلك الوقت أصبح ضجر الفرنسيين من إرهاق الحرب جليا، كما أن فرنسا أضفت على «ديان بيان فو» قدراً بالغاً من الهيبة، لدرجة أنه أصبح واضحاً أن سقوط الحامية سيعنى نهاية الحكم الفرنسى فى ڤيتنام، وكان رأى «إيزنهاور» و «دالاس» أن مثل هذه النتيجة ستعنى انتصار العدوان الشيوعى، وفشل سياسة الاحتواء.

فى ٣ أبريل ١٩٥٤ اجتمع «دالاس» و الأدميرال «رادفورد» مع ثمانية من زعماء الكونجرس. وكانت الإدارة الأمريكية تبغى مساندتها فى الحصول على قرار من الكونجرس بالتصريح بدخول الولايات المتحدة الحرب، فأصيب رجال الكونجرس بالذهول، ومن بينهم السيناتور «ليندون جونسون» ـ من تكساس ـ زعيم الأغلبية بمجلس الشيوخ؛ إذ تذكروا ـ بوضوح شديد ـ صعوبات الحرب الكورية، كما أنهم انزعجوا لأن «دالاس» لم يعثر على أى حليف يؤيد التدخل الأمريكى. وزادت حدة معارضة الكونجرس عندما اكتشفوا أن واحداً من رؤساء القيادة المشتركة الثلاث الآخرين لم يوافق على فكرة «رادفورد» بإنقاذ «ديان بيان فو» عن طريق الغارات الجوية.

كان «إيزنهاور» فى مثل صلابة زعماء الكونجرس تجاه موقف الحلفاء. كان متلهفاً على مساندة فرنسا، ولكن بشرط تعهدها بالاستقلال التام لڤيتنام، وبشرط انضمام بريطانيا إلى الولايات المتحدة فى تدخلها، ورفض أن يتحرك ما لم تلبى هذه الشروط. ولكنه كان قلقا إزاء ما قد يحدث إذا خسرت فرنسا، وفى مؤتمر صحفى فى ٧ أبريل قدم «إيزنهاور» استخداماً سياسياً جديداً لكلمة قديمة، عندما شرح أن كل جنوب شرق آسيا مثل صف من قطع الدومينو «إذا سقطت أول قطعة، فإن ما سيحدث للقطعة الأخيرة، هو بكل تأكيد أنها ستسقط بسرعة كبيرة».

ولكى يتأكد إيزنهاور من صمود قطع الدومينو لجأ للحلفاء، وكان يريد من «الولايات المتحدة، وفرنسا، والمملكة المتحدة، وتايلاند، وأستراليا، ونيوزيلانده، وغيرهم البدء فوراً فى التشاور للبحث عن وسائل ناجحة لإيقاف تقدم الشيوعيين فى جنوب شرق آسيا» واقترح استخدام كل القوات الفرنسية المتكتلة هناك بالفعل لحين «وصول قوات برية إضافية من الفرق الآسيوية والأوروبية»، على أن تقدم الولايات المتحدة المعدات فقط دون الأرواح. وقوبلت سياسته بقليل من الحماس من بريطانيا، وأستراليا، ونيوزلانده وغيرها، ولكنها كانت متوافقة مع طريقة تفكير كلّ من الرئيسيين السابقين لإيزنهاور. كانت المشكلة أنها لم تسنح لها فرصة النجاح؛ إذا استنتج الحلفاء أنه إذا كانت الولايات المتحدة قد رفضت استمرار الحرب فى كوريا فإنها لن تحارب فى ڤيتنام، وحتى عندما كتب إيزنهاور، إلى «تشرشل» مقارناً الخطر فى ڤيتنام بمخاطر « هيروهيتو وموسيلينى وهتلر»، لم يتحرك البريطانيون.

عندئذ، حاول «ريتشارد نيكسون» نائب الرئيس أسلوبا آخر، فأوضح فى ١٦ أبريل إنه «إذا كان تجنب المزيد من توسع الشيوعيين فى آسيا والهند الصينية، يقتضى أن نجازف الآن بإرسال أولادنا إلى المعركة.. فإننى أرى أنه يجب على الرئيس أن يتخذ ذلك القرار المكروه سياسياً». إن العاصفة التى تلت ذلك الخطاب كانت عنيفة لدرجة أن احتمال استخدام «أولادنا» فى ڤيتنام اختفى فوراً. وعلى أية حال كانت موافقة إيزنهاور على ذلك مستبعدة تماماً، كما أن «ماثيو ريدچواى» رئيس أركان الجيش كان حاسماً فى رفضه الاندفاع إلى حرب برية أخرى فى آسيا.

إذن ما العمل؟ كان ذلك السؤال حرجاً، بسبب المؤتمر الذى كان مقرراً عقده عن ڤيتنام فى ٢٦ أبريل فى جنيف. ومثلما حدث لترومان فى كوريا، كانت إدارة إيزنهاور ترفض رفضاً قاطعاً التفاوض من أجل التوصل إلى تسوية سلمية فى جنيف يمكن أن تؤدى إلى استحواذ «هوتشى مينه» على أى جزء من ڤيتنام. وكانت الولايات المتحدة تدفع ٧٥٪ من نفقات الحرب، وهو استثمار ضخم بدرجة لاتسمح بالتنازل عنه ببساطة، إلا أن موقف الفرنسيين فى «ديان بيان فو» كان يتدهور بسرعة،

فتقدم «ناثان توييننج» رئيس أركان القوات الجوية بحل، وهو إلقاء ثلاث قنابل ذرية صغيرة على الڤيتناميين الشيوعيين (الڤيت مينه) الموجودين حول «ديان بيان فو»، وبذلك «نطهر تلك البقعة من هؤلاء الشيوعيين، وتبدأ الفرقة فى عزف النشيد الوطنى الفرنسى، ويخرج الفرنسيون منتصرين». ولكن إيزنهاور رفض استخدام قنابل ذرية ضد الآسيويين للمرة الثانية خلال عقد واحد، وإن كان قد فكر فى شن ضربة جوية تقليدية. وقبل أسبوع من انعقاد مؤتمر جنيف طار «دالاس» إلى لندن للحصول على موافقة تشرشل، ولكن تشرشل رفض؛ ولم يتخذ إيزنهاور أية خطوة. لقد فشلت سياسة الوقوف على حافة الهاوية.

فى ٧ مايو ١٩٥٤، سقطت «ديان بيان فو»، ومع ذلك لم يحرز مؤتمر جنيف أى تقدم، فانسحب الأمريكيون من المؤتمر، لكن تحت إصرار حلفاء شمال الأطلنطى، أرسل أيزنهاور ـ فى نهاية الأمر ـ صديقه الحميم «والتر سميث» إلى المؤتمر كمراقب، وقد رفض «دالاس» نفسه أن يعود إلى المؤتمر، حيث استمرت المفاوضات ـ ببطء شديد ـ إلى أن سقطت الحكومة الفرنسية. وفى منتصف يونيه، تولى «بيير منديس فرانس» الاشتراكى المتطرف منصب وزير الخارجية ورئيس الوزراء فى آن واحد، إذ فاز بـ ٤١٩ صوتاً ـ مقابل ٤٧ صوتاً ـ بسبب قوة التعهد الذى أخذه على نفسه، بأن يضع نهاية للحرب قبل ٢٠ يوليه وإلا استقال. وقام «منديس فرانس» على الفور بمقابلة «شو إن لاى» رئيس وزراء الصين، فى اجتماع مغلق فى «برن»؛ مما أثار غضب الأمريكيين. وبدأ التقدم تجاه إحلال السلام، بينما كان «إيزنهاور» و «دالاس» و «سميث» متفرجين عاجزين عن التصرف. وفى ٢٠ ـ ٢١ يوليه ١٩٥٤، تم توقيع معاهدتين: اتفاقية جنيف الدولية، واتفاقية الهدنة بجنيف.

اتفقت الأطراف على عقد هدنة، وعلى تقسيم ڤيتنام ـ بصفة مؤقتة ـ عند خط العرض السابع عشر، مع انسحاب فرنسا من المنطقة الواقعة جنوب ذلك الخط. وبالإضافة إلى ذلك تعهد الفرنسيون فى جنوب ڤيتنام، و«هوتشى مينه» فى شمال

ڤيتنام بألا ينضما إلى أى تحالف عسكرى، وبألا يسمحا بإقامة قواعد عسكرية أجنبية فى المناطق التابعة لهما، وعلى إقامة انتخابات تحت إشراف لجنة مشتركة من الهند، وكندا، وبولندا، خلال عامين لتوحيد البلاد، على أن تظل فرنسا فى الجنوب لتنفيذ الانتخابات. لم توقع الولايات المتحدة، أو أى حكومة فى ڤيتنام الجنوبية على أىّ من هاتين المعاهدتين، ولكن الولايات المتحدة وعدت بأنها ستؤيد إجراء «انتخابات حرة تحت إشراف الأمم المتحدة» وبأنها لن تستخدم القوة لخرق هذه الاتفاقيات. أما «هوتشى مينه» الذى كان على وشك أن يستحوذ على كل ڤيتنام، فقد رضى بالنصف الشمالى فقط؛ لأنه كان بحاجة إلى بعض الوقت، لإصلاح دمار الحرب، كما أنه كان واثقا أنه سيفوز بنصر ساحق فى الانتخابات حينما تعقد، واتفق معه جميع المراقبين الغربيين فى تنبؤاته بخصوص نتيجة الانتخابات.

فى يوليه ١٩٥٤ اندفع «دالاس» و «رادفورد» و «توييننج» وآخرون من البنتاجون، فى محاولة يائسة لإنقاذ شئ ما من الكارثة، فصمموا خطة للغزو تستدعى نزول القوات فى «هايفونج»، مع التقدم إلى «هانوى» التى ستتولى القوت الأمريكية تحريرها عندئذ. ومرة أخرى «اعترض الجنرال ريدجواى» بحجة أن المغامرة سوف تتطلب ست فرق على الأقل، حتى إذا لم يتدخل الصينيون، ومرة أخرى «رفض إيزنهاور أن يتخذ أى إجراء».

إن «الرؤية الجديدة» قد أوثقت يدى «دالاس» فى ڤيتنام؛ لذلك عمد وزير الخارجية ـ بعد مؤتمر چنيف ـ إلى التحرك فى طريقين معاً، فى محاولة لإعادة بعض المرونة إلى السياسة الخارجية الأمريكية. وكانت إحدى المشاكل الجوهرية هى عدم وجود حلفاء للتدخل، لذلك حاول دالاس تصحيح ذلك الوضع قبل وقوع الأزمة التالية، وذلك بأن يحصل على موافقة الحلفاء مقدماً. وفى سبتمبر ١٩٥٤ «أقنع دالاس» بريطانيا، وأستراليا، ونيوزيلاندا، وفرنسا، وتايلاند، وباكستان، والفلبين، بالإنضمام إلى منظمة معاهدة جنوب شرق آسيا (سيتو SEATO) ، التى اتفق أطرافها على التشاور إذا شعرت أى دولة ـ من الدول الموقعة على المعاهدة ـ بأن خطراً

ما يتهددها، كما اتفقوا على التحرك الجماعى لمواجهة أى معتد، يجمعون على تحديده، وإذا وافقت الدولة المهددة على شن العمليات على أراضيها. وفى ملحق منفصل، تم الاتفاق على حماية كمبوديا، ولاوس، وجنوب ڤيتنام. وهكذا نجحت الولايات المتحدة فى سرعة تقويض اتفاقية چنيف بأن جلبت جنوب ڤيتنام فى نظام تحالف. وكان غياب الهند وبورما وأندونيسيا فى وجود عدد كبير من الشعوب البيضاء فى الحلف مصدر حرج، فقد وضح أن ذلك لم يكن مجرد حلف آخر لجنوب شرق آسيا، مثل: حلف شمال الأطلنطى، وإنما كان محاولة من الغرب ـ من الولايات المتحدة بصفة خاصة ـ لتنظيم شئون آسيا من الخارج. ومرة أخرى انتشر مبدأ «مونرو» القديم*. وعلى حد تعبير «دالاس»: لقد أعلنت الولايات المتحدة «أن اقتحام جنوب شرق آسيا سيهدد سلامنا وأمننا»، وأن الولايات المتحدة ستحارب من أجل تجنب ذلك.

لقد أوضح «دالاس» لمجلس الشيوخ المتشكك أن ذلك لن يتم بالاعتماد على قوات المشاة، وأكد لهم أن سياسات «الرؤية الجديدة» ستستمر، وأن رد الولايات المتحدة على العدوان سيكون بالقنابل وليس بالرجال، مما وفر حلاً لمشكلة واحدة دون الأخرى. وإذا اتخذ العدوان شكل تخريب داخلى شيوعى موجه ومدعّم من الخارج، ماذا يكون العمل؟ فى مثل تلك الحالة، سيكون من الصعب الحصول على موافقة أطراف معاهدة «سيتو» على مواجهته. وكان «دالاس» مدركاً لذلك لخطر، وأكدّ لمجلس الوزراء أنه ـ فى مثل تلك الحالة ـ كان على استعداد لتصرف أمريكا بمفردها، إلا أنه فى لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ اتخذ موقفاً مخالفا حيث قرر إنه «إذا قامت حركة ثورية ڤيتنام أو تايلاند، سوف نتشاور سوياً فى الإجراء الذى يجب اتخاذه، ولكننا لسنا ملزمين بإخمادها، كل ما نحن ملزمين به هو مجرد التشاور». وهكذا، اطمأن مجلس الشيوخ، فوافق على المعاهدة بنسبة ٨٢ صوتاً ضد صوت واحد.

* مبدأ «مونرو»: مبدأ فى السياسة الخارجية الامريكية، أعلنه الرئيس «مونرو» فى رسالته إلى الكونجرس (٢ ديسمبر ١٨٢٣) وأساس هذا المبدأ أن الولايات المتحدة تعارض بشدة أى تدخل أوروبى فى شئون النصف الغربى من الكرة الارضية. (المترجم)

books4arab.com

كان الإجراء الأساسى الآخر الذى اتخذه «دالاس» بعد جنيف، هو الانفراد الأمريكى بتدعيم حكومة فيتنام الجنوبية، مما كشف النقاب عن كثير من الاتجاهات الأمريكية نحو الثورة فى العالم الثالث. لقد «دالاس» تنتابه حالة من التوتر العصبى، عندما كان يفكر فى الشعوب الملونة فى العالم، لأنه أدرك أن الصراع للحصول على ولائهم سيكون أرض المعركة التالية فى الحرب الباردة، وكان «دالاس» يعلم أن القدرات العسكرية الأمريكية ليس لها دورها فى أغلب الأحوال فى ذلك الصراع. وقد كان فى حوزة روسيا ميزة مروّعه، وهى أن العالم الثالث لم ينظر إلى الروس على أنهم مستغلون ومستعمرون بيض. والأكثر من ذلك، أن المثال الذى ضربته روسيا على كيفية تولى أمة ما بناء اقتصادها عن طريق السيطرة على الإنتاج والاستهلاك، بدلاً من الانتظار للتراكم البطىء للثروات عن طريق أرباح المؤسسات الحرة، كان مثالاً حاز إعجاب الامم الناشئة بدرجة كبيرة. وأخيراً، فإن شعوب العالم المضطهدة لم تلجأ إلى الإطاحة بأسيادها من البيض فقط لمجرد إستبدالهم بحكام محليين ممن يعتنقون نفس السياسة، إن الثوار كانوا ـ بالضبط ـ كما أعلنوا عن أنفسهم: رجال عقدوا العزم على تغيير النظام الاجتماعى والسياسى والاقتصادى كله.

فى ظل تعود الولايات المتحدة على تعريف التغيير الاجتماعى بأنه عدوان شيوعى، وفى ظل حاجة رجال الإعمال إلى المحافظة على اقتصاديات استخلاص المعادن فى العالم الثالث، وفى ظل رغبة العسكريين فى الاحتفاظ بقواعد حول روسيا والصين، كان على الولايات المتحدة أن تتخذ موقفا تجاه الثورات. لقد كتب «نورمان جرينر» قائلاً: «إن السياسة الأمريكية صممت، لكى تخلق أقصى تغيير ممكن خلف الستار الحديدى، ولتمنعه فى أى مكان آخر. وفى كلتا الحالتين فإن هذه الأمة قد وضعت نفسها فى موقف معارضة الحقائق السياسية والعسكرية الأساسية فى هذا العصر». فى ١٩٦٠ قام «ف. ك. كريشنا منون» ـ من الهند ـ بدعوة الوفد الأمريكى لدى الأمم المتحدة؛ لقراءة إعلان الاستقلال قائلا «لا يمكن الدفاع عن الشرعية، وإذا كنتم تعترضون على الحكومات الثورية إذن.. فإنكم ببساطة تعملون ضد عملية التقدم ككل»؛ ولكن الولايات المتحدة اعترضت فعلاً على

الثورة. وفى ١٩٥٨ تولى السيناتور «فولبرايت» تلخيص اتجاه «ترومان» و«إيزنهاور» قائلاً إن الولايات المتحدة «قد تعاملت مع أمراء وملوك وكبار رجال الأعمال، ومع ممثلين من الماضى البعض من المتربعين فى مواقعهم والفاسدين فى معظم الأحيان».

لقد انطبق ما قاله «فولبرايت» على سياسة «دالاس» فى ڤيتنام الجنوبية، عقب مؤتمر چنيف. فى سبتمبر ١٩٥٤ أعلن دالاس أنه منذ ذلك الحين ستتجه المساعدات الأمريكية إلى الڤيتناميين الجنوبيين مباشرة، ولن تمر من خلال الفرنسيين. وفى نوفمبر بدأ المستشارون العسكريون الأمريكيون فى تدريب جيش ڤيتنام الجنوبية، لقد مكنت الولايات المتحدة «نجو دينه دييم» من حكم ڤيتنام الجنوبية، الذى اعتمد على تأييد كبار ملاك الأراضى الزراعية، وكان على علاقته الطيبة مع ملاك المزارع الفرنسيين، فتعهد إيزنهاور بتزويد «دييم» بمساعدات أمريكية، وطالبه ـ فى مقابل ذلك ـ بإصلاح الأحوال الاجتماعية والاقتصادية. ولكن كان من المتفق عليه ـ من البداية ـ أن «دييم» له مطلق الحرية، طالما ظل ثابتاً على عدائه للشيوعيين.

عندئذ، بدأت المساعدات الأمريكية تنهمر على «دييم»، حيث حاولت الولايات المتحدة أن تجعل من ڤيتنام الجنوبية نموذجاً لتنمية العالم الثالث. لقد فشلت سياسة حافة الهاوية فى الحيلولة دون ضياع ڤيتنام الشمالية، كما كان دورها ضعيفاً ـ أو لم يكن لها دور على الإطلاق ـ فى معالجة مشاكل الدول المتخلفة؛ لذلك قدم «دالاس» نموذج «دييم» كوسيلة لمعالجة ما اعتبره أهم مشاكل العصر، ولم يتضح بعد هل كان ذلك مثالاً مقنعاً، أم لا ؟.

وقد تكون سياسة حافة الهاوية قد فشلت فى إيقاف أو حتى فى تشكيل ثورة التطلعات المتزايدة لشعوب العالم الثالث، ولكن ذلك لم يعنى عدم امكان استخدامها لحماية ما كان واضحاً أنه ينتمى للولايات المتحدة بالفعل. لقد واجه «دالاس» ثالث تحدياته الكبرى، واستخدم سياسة حافة الهاوية ـ للمرة الثالثة ـ فى مضيق فورموزا، حيث نجح فعلا فى تحقيق هدفه.

في يناير ١٩٥٣ كان «إيزنهاور» قد أطلق العنان لـ«شيانج»*، فبدأ الصينيون القوميون في سلسلة من الغارات، باستخدام طائرات أمريكية الصنع قصفت البواخر والموانى فى الصين (الشعبية فى ذلك الوقت) بالقنابل، وكانت حرب «الثقوب» كافية لإثارة غضب الصينيين دون تكبيدهم خسائر باهظة. وفى يناير ١٩٥٥ أصبح الصينيون مستعدين لرد العدوان، فبدأوا بقصف جزر «تاشن»، التى تقع على بعد ٢٣٠ ميلاً شمال فورموزا، والتى كانت تحت سيطرة فرقة من قوات «شيانج»، كما بدأ الصينيون ـ أيضاً ـ فى بناء قوتهم ونصب المدافع فى مواجهة «كوموى» و «ماتسو»، وهى جزر صغيرة تقع على مداخل ميناءين صينيين محصنين بفرق قومية. كان «إيزنهاور» ـ رغم عدم موافقة بعض مستشاريه ـ على استعداد للتخلص من جزر «التاشن»، التى سرعان ما تم إخلاؤها، ولكنه كان عاقداً العزم على التمسك «بكوموى»، «وماتسو»؛ لأنه كان واثقاً من أهميتهما للدفاع عن فورموزا ذاتها. لقد فسر دوافعه فى ١٩٥٨ أثناء الأزمة التى انفجرت، بسبب نفس القضية، قائلاً إن سقوط «كيموى» و «ماتسو» كان يعنى سقوط فورموزا بعد ذلك؛ مما كان «سيعرض الحاجز المقام فى وجه الشيوعيين للخطر، وهو الحاجز المكون من الجزر وشبه الجزر الواقعة غرب المحيط الهادى، مثل: اليابان، وجمهورية كوريا، وجمهورية الصين، وجمهورية الفلبين، وتايلاند، وفيتنام، وبالتالى كان من المحتمل خضوع أندونيسيا، والملايو، وكامبوديا، ولاوس، وبورما تحت سيطرة الشيوعيين التامة».

لكى يتجنب إيزنهاور «العواقب الوخيمة» لخسارة «كيموى» و «ماتسو»، طلب من الكونجرس ـ فى ٢٤ يناير ١٩٥٥ ـ التصريح «باستخدام القوات المسلحة الأمريكية، عندما يرى الرئيس الأمريكى ضرورة ذلك بهدف محدود، هو حماية جزر فورموزا والبسكادور من الهجوم المسلح عليها» على أن يتضمن التصريح أيضا «المواقف المشابهة»، ويعنى ذلك جزر «كيموى» و «ماتسو». وكان «إيزنهاور» قلقاً أنه

* فى الواقع تبنى ترومان هذا التحرك قبل عامين، إلا أنه احتفظ بهذا سراً، أما إيزنهاور فأعلن عنه لأسباب داخلية، لتهدئة الجناح اليمينى فى الحزب الجمهورى.

إذا انتظر حتى تبدأ الصين هجومها، ثم اضطر إلى طلب موافقة الكونجرس، أن يكون الوقت قد فات؛ ولذلك طلب موافقة مطلقة (شيك على بياض) يمكنه أن يتعرف بمقتضاه كما يشاء. لقد علق المستشار القانونى بوزارة الخارجية ـ الذى ساعد فى صياغة القرار ـ على ذلك الطلب قائلاً إنه كان «خطوة فريدة؛ فلم يحدث من قبل فى تاريخنا أبداً أن اتخذ إجراء مثل ذلك». ومع ذلك، فلم يثر أى جدل تقريباً حول القرار، الذى أقره مجلس النواب بأغلبية ٤٠٩ صوتاً ضد ٣ أصوات، بينما وافق عليه مجلس الشيوخ بأغلبية ٨٥ صوتاً ضد ٣ أصوات.

وأعقب ذلك ظهور ذعر مهول من الحرب. وعندما بدأ الصينيون فى قصف «كوموى» و «ماتسو» بالقنابل، أخذت إدارة إيزنهاور تبحث بجدية فى إلقاء أسلحة نووية على الأراضى الصينية. ولم يحدث ـ من قبل ـ خلال الحرب الباردة أن أوشكت الولايات المتحدة ـ لهذه الدرجة ـ على شن حرب وقائية، ولو أن الصين قامت ـ فعلاً ـ بغزو الجزر فمن المحتمل أن الولايات المتحدة كانت قد ستقدم على ذلك الإجراء. وفى ٢٠ مارس ألقى «دالاس» خطاباً، أشار فيه إلى الصينيين مستخدماً عبارات لا تستخدم إلاّ ضد الدول التى فى حالة حرب مع الولايات المتحدة. لقد قال الوزير إن الصينيين كانوا «خطراً حاداً ومسلطاً فوق الرؤوس،... أصابهم النجاح بالدوار» وقارن بين «تطرفهم العدائى» وتطرف هتلر، قائلاً إنهم «كانوا أكثر خطورة، وأكثر استفزازا للحرب من هتلر.» وهدد بأن إيقافهم يتطلب «أسلحة بالغة الدقة. وجديدة وفعالة، يمكن أن تدمر الأهداف العسكرية تماماً، دون تعرض المواقـع المدنية للخطـر»، وكان المقصود بها قنابل نووية تكتيكية. وقد سانده «إيزنهاور» فى ذلك.

فى ٢٥ مارس، تولى الأدميرال «ر. ب. كارنى» قائد العمليات البحرية، إيجاز الموقف لبعض المراسلين الذين تواجدوا فى حفل عشاء خاص، فقال لهم إن الرئيس بصدد بحث اتخاذ إجراء عسكرى، على أساس استخدام جميع الطاقات المتوفرة «لتدمير الإمكانيات العسكرية للصين الحمراء، وبذا يضع نهاية لميولها التوسعية». وأبلغ «دالاس» الرئيس ـ قبل حل المشكلة ـ «إننى أومن أن هناك إحتمالات ـ

على الأقل ـ متساوية أن الولايات المتحدة ستضطر لدخول الحرب». كان رأى «دالاس» أن بعض الغارات الجوية الصغيرة مع بحد أدنى من الإصابات المدنية ستؤدى المهمة بسرعة، وأن «الامتعاض قد لا يستمر طويلاً».

ومع ذلك، بدأ «إيزنهاور» يتشكك فى إمكانية الحد من زمن أو نطاق العملية، فرفض فكرة الحرب الوقائية. لقد أوضح للصحفيين أنه حتى إذا نجحت العملية، فإن مثل تلك الحرب، ستؤدى إلى تخريب الصين تماماً، والى قدر من التعاسة البشرية على نطاق لم يسبق له مثيل، ثم تساءل: «ما الذى سيفعله العالم المتحضر إزاء ذلك»؟ لقد قال فى مؤتمر صحفى عقد فى ٢٨ أبريل أنه يراوده شعور نابع من حاسته السادسة بأن دلائل السلام قد أشرقت، وكشف بأنه كان يتبادل المراسلات مع «المارشال زوكوف» صديقه القديم منذ الحرب، وأحد الحكام السوفييت فى ذلك الوقت. بعد ذلك، خفت حدة الضغوط الصينية على «كيموى» و «ماتسو»، وتقلصت الأزمة، لقد نجحت سياسة حافة الهاوية.

فى تلك الأثناء، أصيبت شعوب العالم بذعر أفقدها صوابها، وربما أصاب ذلك بعض أعضاء إدارة إيزنهاور ذاتها، وكان هناك سبب قوى لذلك، فإن القوة المدمرة للأسلحة النووية المنتجة فى ١٩٥٥ ، كانت اكبر الف مرة من القوة المدمرة للقنابل الذرية المنتجة فى الأربعينيات. إن واحدة من قاذفات القنابل الأمريكية كانت تحمل قوة مدمرة، تفوق كل المتفجرات التى تم تفجيرها فى تاريخ العالم كله مجتمعة، فأصيب الجميع بالرعب. إن القنابل الذرية التكتيكية الصغيرة التى كان «دالاس» يتحدث عنها كانت أكبر بكثير من تلك التى ألقيت على اليابان. ومنذ بداية الاختبارات الأمريكية على تلك القنابل النووية الجديدة، لم يكف «ونستون تشرشل» عن الإلحاح على الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى، لكى يجتمعا فى مؤتمر قمة لمحاولة تسوية خلافاتهما. لقد أصرت الولايات المتحدة على رفض نداءاته لعقد اجتماع قمة. ولكن فى منتصف ١٩٥٥ عندما بدأت روسيا فى تحسين حجم قنابلها وقدراتها على إلقاء تلك القنابل، وعندما أدت أزمة فورموزا إلى وضع الولايات المتحدة وجهاً لوجه أمام احتمال تبادل نووى، أصبح إيزنهاور و «دالاس» أكثر قبولا لفكرة اجتماع قمة.

إن قرار إيزنهاور بالاشتراك في اجتماع القمة كان يعنى نهاية كل الأحلام الأمريكية بالفوز فى الحرب الباردة بالوسائل العسكرية. لقد أحرزت روسيا قدراً كبيراً من التقدم في تطوير الأسلحة النووية؛ لدرجة أن إيزنهاور نفسه حذر الأمة من أن وقوع حرب نووية يعنى دمار العالم، ولن يكون هناك «احتمال للنصر أو الهزيمة»، وإنما فقط درجات متفاوتة من الدمار. ووفقاً لما جاء في تقرير «جيمس رستون» في صحيفة «نيويورك تايمز»، «ربما تعد أهم حقيقة فى سياسة العالم اليوم، أن إيزنهاور قد ألقى بالسلطان الهائل للرئاسة الأمريكية، ضد المجازفة بحل عسكرى للحرب الباردة». وحيث أن «إيزنهاور» رفض أن يجر الأمة إلى حرب نووية؛ وحيث أنه لم تكن لديه القوات اللازمة لخوض حرب محدودة، وكما لم يكن باستطاعته أن يحصل عليها من حلفائه؛ وحيث إن تصميم الحزب الجمهورى على موازنة الميزانية، والاستمتاع بثمرات الرأسمالية، كان أكثر من تصميمه على مساعدة آلة الحرب، كان البديل الوحيد المطروح، هو: نوع ما من السلام مع روسيا.

وفى نهاية ربيع ١٩٥٥، توالت الأحداث بسرعة ساعدت على دفع «إيزنهاور» وروسيا إلى اجتماع القمة؛ ففى ٩ مايو، أصبحت ألمانيا الغربية عضواً رسمياً فى حلف شمال الأطلنطى (الناتو). وفى ١٤ مايو، قام الاتحاد السوفيتى مع دول شرق أوروبا بتوقيع أتفاق حلف وارسو، وهو الرد العسكرى الشيوعى لمواجهه حلف شمال الأطلنطى. وفى اليوم التالى، قامت روسيا والولايات المتحدة أخيراً بحل إحدى مشاكل الحرب العالمية الثانية التى ظلت قائمة لوقت طويل، وذلك بالتوقيع على معاهدة الدولة النمساوية، التى حصلت النمسا بمقتضاها على استقلالها، مع حظر اتحادها مع ألمانيا، على أن تصبح دولة محايدة بصفة دائمة. وقد كان كل من الجانبين مسئولاً عن عوامل عديدة لتأخير ذلك الإجراء. لقد وقعت روسيا على المعاهدة، لأنها أرادت تخفيف حدة التوتر والتعجيل بعقد اجتماع القمة، بينما تقبلت الولايات المتحدة المعاهدة كحل معقول لمشكلة النمسا. ولم يكن «دالاس» سعيداً، إذ إنه عندما حضر مع إيزنهاور بعد التوقيع ابتسم بطريقة حزينة الى حد ما ـ وقال: «حسناً، اعتقد إننا خدعنا».

وكان مبعث قلق «دالاس» إساءة تفسير ما حدث، وقد ثبت أنه كان محقاً؛ لأن محررى الصحف والنقاد بدأوا ينادون بحل مماثل لألمانيا، وواقع الأمر أن المعاهدة النمسوية كانت خطوة، أضفت على تقسيم ألمانيا صفة الاستمرارية، ولم تكن على الإطلاق خطوة نحو وحدة ألمانيا وحيادها؛ إذ اتفقت روسيا والولايات المتحدة ـ فى الواقع ـ على أن كلتا شطرى ألمانيا لن يحصلا على النمسا.

وبالتالى، أدى ذلك الى توضيح أحد أهم نتائج الحرب العالمية الثانية، ألا وهو تقسيم إمبراطورية هتلر إلى ثلاثة أجزاء. إن ألمانيا الموحدة ـ سواء أصبحت نازية، أو شيوعية، أو رأسمالية ـ تعد مبعث خطر دائم على السلام، أو هكذا قررت روسيا والولايات المتحدة. لقد أبقى كل منهما على الالتزام رسمياً تجاه إعادة توحيد ألمانيا، إلاّ أن كليهما لم يرغب فى تحقيق ذلك فعلا.

فى ١٩ مايو ١٩٥٥، عرض الاتحاد السوفيتى فى استعراض للقوات الجوية، كميات هائلة من أحدث قاذفات القنابل طويلة المدى. وبعد مرور أسبوع، قام «نيكيتا خروشوف» و «نيقولاى بولجانين» ـ الزعيمان الجدد بداية فى روسيا ـ بالسفر إلى يوجوسلافيا، حيث قدما اعتذاراً عن معاملة ستالين لتيتو، وتوسلا إلى «تيتو» طالبين الصفح. وبالإضافة إلى ذلك، كانت روسيا قد بادرت ببرنامج مساعدات اقتصادية لدول مختارة من العالم الثالث. وهكذا إتضح أن روسيا قد تغلبت على الاضطراب الذى تلا وفاة ستالين، وأنها كانت فى حالة هجومية.

وهكذا، أصبح واضحاً أن هناك حاجة ماسة إلى بعض القواعد الإجرائية التى تتناسب مع الحرب الباردة، معنوياً إن لم يكن مادياً. لقد اتخذ حلفاء الولايات المتحدة (أعضاء الناتو NATO) موقفاً صلباً إزاء تلك الحاجة، وأصروا عليه بعد مناورات الحرب التى قامت بها دول «الناتو» فى يونيه ١٩٥٥، والتى أظهرت أنه إذا بدأت المعركة فى أوروبا (وإذا كان سيناريو المناورة دقيقاً) فسوف يتم إلقاء ١٧١ قنبلة ذرية على غرب أوروبا. إن استمرار الولايات المتحدة فى اتخاذ موقف عدائى مفرط تجاه روسيا أصبح غير محتمل، لقد استحوذ ذلك الشعور بعمق على دول أوروبا فكان

أحد العوامل الرئيسية التى أدت إلى عقد اجتماع القمة فى جنيف، بالإضافة إلى عامل رئيسى آخر هو تفانى إيزنهاور الشخصى فى العمل على إحلال السلام.

ولم يكن اجتماع القمة فى جنيف ـ وهو أول اجتماع قمة منذ «بوتسدام» الذى عقد قبل عشرة سنوات ـ نتيجة أية تسوية سياسية، ولم يكن أى من الجانبين على استعداد للتراجع عن مواقفه السابقة؛ ولقد أوضح «دالاس» ذلك تماماً، عندما حدد المطالب الأمريكية تجاه ألمانيا. وكان هدفه الأول وحدة ألمانيا «تحت شروط، لا تؤدى الى حياد ألمانيا المتحدة أو الى نزع سلاحها، أو إلى استبعادها من الناتو». ولم تكن هناك أدنى فرصة لقبول روسيا لمثل ذلك الاقتراح، ولم يكن من المتوقع منها أن توافق ـ بالمرة ـ على العرض الأمريكى الجديد الوحيد، وهو دعوة إيزنهاور إلى اتفاقية «مجالات جوية مفتوحة»، لأن ذلك العرض كان بالنسبة لروسيا مجرد محاولة أمريكية أخرى؛ للتجسس على روسيا*. ولذلك، فإن «بولجانين» الذى حضر اجتماع جنيف كواجهة نيابةً عن «خروشوف». لم يكن لديه أى استعداد لعقد اتفاق؛ مثله مثل الأمريكيين؛ وكان موقفه إزاء ألمانيا هو ترك كل شئ على ما كان عليه.

فى ١٨ يوليه ١٩٥٥، بدأ اجتماع القمة، الذى عقد كرد فعل لسباق التسلح. ولم يكن أمراً غير متوقع على الإطلاق، أنه لم يتم التوصل فيه إلى أية تسوية سياسية. ومع ذلك، فقد تحققت أكثر مخاوف «دالاس»، إذ انبثقت «روح جنيف» هناك، وكان «دالاس» قد نصح «إيزنهاور» بأن يعمل على أن تبدو «ملامحه صارمة وجادة» فى الصور الفوتوجرافية التى سيظهر فيها مع «بولجانين»، وحذره من أن أى صورة تضم الزعيمين والابتسامة تعلو وجهيهما «ستوزع على كل الدول التابعة للاتحاد السوڤيتى»؛ مما سيشير ضمنياً ـ إلى «أن كل آمال التحرير قد ضاعت، وأن مقاومة

* لقد عارض الروس بشدة اقتراح المجالات الجوية المفتوحة إلا أن إيزنهاور كان فى الواقع سباقاً للتقدم التكنولوجى؛ فلقد بدأت الولايات المتحدة فعلاً فى التجسس على الروس من الجو من خلال طائرة وكالة المخابرات المركزية «يو ـ٢» U-2 وخلال بضع سنوات تمكن كلا الجانبين من التجسس على الآخر من خلال الأقمار الصناعية.

الحكم الشيوعى قد أصبحت لا طائل من ورائها، من الآن فصاعداً» . ولكن عندما أخذت الصور لم يستطع «إيزنهاور» أن يكبت ابتسامته الشهيرة، ووزعت الصور.

لم يستطع «دالاس» أن يمنع ذلك الاعتراف الرمزى بفشل وعود الحزب الجمهورى لتحرير الدول التابعة للشيوعيين. إن اجتماع جنيف لم يعنى نهاية الحرب الباردة، ولكنه أدى فعلاً إلى تغيير أساسها، فقد اعترفت دول الغرب بأنها لم تستطع أن تفوز فى الحرب الباردة، وأنه ساد جمود فى موقف الأسلحة الحرارية النووية، وأنه يجب تقبل الوضع الراهن فى أوروبا والصين (حيث خفت حدة التوتر بسرعة) .

لقد شعر «دالاس» بالمرارة ولكنه كان عاجزا. وكان ثائراً بصفة خاصة لأن أرض المعركة قد انتقلت ـ الآن ـ إلى مجالات النفوذ الاقتصادى والسياسى فى العالم الثالث، وهو ميدان معركة تتمتع فيه روسيا بمميزات جمة. وفى ديسمبر ١٩٥٥ ، حذر «دالاس» وزراء خارجية دول الناتو من أن السوفييت سيستخدمون ـ منذ ذلك الحين فصاعداً ـ تهديدات «غير مباشرة، فيما يتعلق بمناطق الشرق الأوسط وجنوب آسيا» . وكان «دالاس» فى حاجة إلى شيئين من أجل مكافحة ذلك الاتجاه، وهما: الأموال، واستعداد الأمريكيين لتقبل السياسة الراديكالية فى الدول النامية؛ وكلاهما لم يكن ممكناً لأن الجمهوريين الذين استاءوا من تمويل دول غرب أوروبا خلال خطة مارشال.. كان من المستبعد أن يوافقوا على دفع مبالغ ضخمة للثوار الذين ليسوا من الجنس الأبيض.

اتبعت الولايات المتحدة ـ أثناء إدارة إيزنهاور ـ وسيلة أخرى؛ غير الضغط الدبلوماسى والتهديد بالحرب الشاملة والإبادة النووية؛ لكى تحقق أهداف سياستها الخارجية، خاصة فى العالم الثالث. ولقد سبقت الإشارة إلى أن وكالة المخابرات المركزية بدأت فى عهد «ترومان» ولكنها بدأت فعلياً فى ممارسة نشاطها على نطاق واسع بعد ١٩٥٣ ، عندما أصبح «ألان دالاس» ـ الأخ الأصغر لوزير الخارجية ـ مديراً للمخابرات المركزية. كان «ألان دالاس» عميلاً لمكتب الخدمات الاستراتيجية أثناء الحرب، ثم مارس نشاطه ـ من وراء الستار ـ فى عمليات سرية لتحقيق نفس الأهداف التى كان أخوه يسعى لتحقيقها علناً ـ وهى بصفة أساسية احتواء

الشيوعية؛ ولأن «آلان دالاس» نفسه كان مثالياً، فقد اجتذب غيره من المثاليين، للعمل فى وكالة المخابرات المركزية. وفقاً لما جاء فى تقرير لجنة تشيرش بمجلس الشيوخ، التى تولت ـ فى١٩٧٦ ـ فحصاً شاملاً لجهاز المخابرات المركزية، «خلال الخمسينيات... اجتذبت وكالة المخابرات المركزية بعضاً من أكفأ المحامين والأكاديميين، وبعضاً من الشباب النشط سياسيا فى أمريكا»*. وكان الاعتقاد السائد فعلاً أن وكالة المخابرات المركزية «مؤسسة ليبرالية تحررية... تبنت وشجعت التفكير الحر المستقل». ومن وجهة نظر أولئك الذين انضموا إلى الجهاز، كانت وكالة المخابرات المركزية «الطريقة الصائبة» لمحاربة الشيوعية، بالمقارنة «بالطريقة السيئة» التى نادى بها «ماكارثى».

كانت الخمسينيات هى سنوات مجد المخابرات المركزية، فقليلاً ما كانت توجه إليها أسئلة، ونادراً ما كانت تجيبها ؛فلقد أبلغت لجان الرقابة بالكونجرس «ألان دالاس» بالتحديد أنها لا تود معرفة أى شئ عن العمليات السرية التى تقوم بها الوكالة. وكان شيئاً مسلماً به لدى الرئيس وعامة الشعب أن الطريقة الوحيدة لمحاربة السوفييت وبوليسهم السرى (KGB) هى استخدام خدع دنيئة، من المفضل عدم معرفة الكثير عنها. كما لم توجه أية أسئلة عن التكلفة أيضاً، فمن يمكنه تحديد قيمة المعلومات المقدمة سلفاً عن ـ مثلا ـ اعتزام تجمع الروس فى ألمانيا الشرقية، فى مظاهرة عبر نهر الألب؟ إن ذلك الجيل من زعماء الأمريكيين قد مر بتجربة «بيرل هاربر» ، وكان عاقداً العزم على ألا يفاجأ مرة ثانية أبداً. وبالتالى، كانت برلين الغربية تغص بعملاء وكالة المخابرات المركزية، الذين كان لديهم جواسيس فى جميع أنحاء أوروبا الشرقية لتقديم تقارير عن تحركات وأنشطة الجيش الأحمر. ومع ذلك لم يستطع العملاء أن ينجزوا عمليات سرية مهمة خلف الستار الحديدى، مثل الإطاحة بحكومة بولندا أو ألمانيا الشرقية؛ لأن البوليس السرى للحكومات التابعة لروسيا كان فى قمة الانتظام وغاية النشاط.

* مذهب الفعالية "Actiyism" : مذهب يؤكد على ضرورة إتخاذ الاجراءات الفعالة أو العنيفة (كإستعمال القوة) لتحقيق الأغراض السياسية. (المترجم)

وفى نفس الوقت، كان يمكن تحقيق نتائج مثيرة باستخدام قدر ضئيل من القوة أو الأموال فى العالم الثالث. لقد أحرز «ألان دالاس» أول نصر له فى إيران فى ١٩٥٣ . كان محمد مصدق رئيس الوزراء؛ قد اقترب أكثر من اللازم ـ من وجهة نظر الإخوة «دالاس» ـ من الحزب الشيوعى فى إيران «حزب تودة»، ولذا كان لابد من الإطاحة به، قبل أن يعقد اتفاقية مع السوفييت. كان مصدق قد أمم ـ بالفعل ـ حقول البترول الإيرانية، مما أثار ذعر البريطانيين الذين تمتعوا باحتكار البترول الإيرانى؛ كما كان من المعتقد أن مصدق كان خطراً يهدد احتفاظ الشاه محمد رضا بهلوى بعرشه.

لذلك قرر «ألان دالاس» أن ينقذ إيران، بأن يرسل أفضل عملائه «كيم روزفلت» (حفيد تيودور روزفلت) إلى طهران مع الجنرال «نورمان شوارزكوف»، وهو الأمريكى الذى قام بتنظيم البوليس السرى فى إيران فى أعقاب الحرب العالمية الثانية (كان تنظيم البوليس والجيش فى الدول الصغيرة وإمدادهما بالمعدات، وسيلة أمريكية أخرى للسيطرة على تلك الدول خلال الحرب الباردة). وقام «روزفلت» و«شوارزكوف» بإنفاق مبالغ باهظة كما لو كانوا لن يحاسبوا عليها ـ إذ كان ذلك ما يحدث بالفعل ـ لتنظيم مظاهرات اجتاحت شوارع طهران وأطاحت بمصدق ـ الذى دخل السجن ـ وأعادت الشاه من منفاه. ثم قام رئيس الوزراء الجديد بتقسيم إنتاج البترول الإيرانى؛ وفقاً لما إرتأته وكالة المخابرات الأمريكية؛ فاحتفظت بريطانيا بـ ٤٠ ٪، وحصلت شركات البترول الأمريكية على ٤٠ ٪، والشركات الفرنسية ٦ ٪، والهولندية ١٤ ٪. وكان من المتوقع أن تمر سنوات عديدة قبل أن يفكر الإيرانيون مرة ثانية فى السيطرة على مصادر ثرواتهم، وعندئذ سيكون الشاه ـ الذى قامت وكالة المخابرات المركزية بإنقاذه ـ هو الذى استحوذ على تلك الثروات. ولكن حتى يحين ذلك الوقت أمكن إيقاف التيار الشيوعى.

وفى العالم الجديد أيضاً، أحرزت المخابرات المركزية نصراً. ففى ١٩٥١ أصبح «جاكوب أربنز جوزمان» رئيساً لجواتيمالا؛ ونظراً لأن أربنز كان وثيق الصلة بالحزب

الشيوعى، فقد اتخذ بعض إجراءات للإصلاح الزراعى، وصادر ملكية ٢٢٥ ألف فدان من أراضى الشركة المتحدة للفاكهة. وكان ذلك التصرف مزعجاً للغاية، ولكن الأسوأ من ذلك أنه كان مصدر خطر على قناة بنما؛ فاقترح «آلان دالاس» الإطاحة بأربنز، وبعد أن أصغى إيزنهاور إلى مميزات وعيوب العملية، صرح بتنفيذها. وقام عملاء وكالة المخابرات المركزية فى جواتيمالا باختيار كولونيل «كارلوس كاستيللو أرماس» ليتزعم الانقلاب، وفعلاً أنشأ مقرا له فى «هندوراس» حيث تلقى معداته. وكان إيزنهاور قد رفض توريط الولايات المتحدة فى مساندة العملية ـ عسكرياً بشكل مباشر ـ ولكنه أبلغ الإخوة «دالاس» أنه «مستعد لاتخاذ أية خطوات [فيما عدا إرسال قوات] ضرورية لإنجاح العملية».

لكن عندما عجز «كاستيللو أرماس» عن تنفيذ عملية الغزو، وافق إيزنهاور على السماح لـ«ألان دالاس» بإرسال عدة قاذفات قنابل قديمة، ترجع إلى الحرب العالمية الثانية إلى أرماس. ونفذت تلك الطائرات مهمة قصف مدينة جواتيمالا، ففضل أربنز ـ الذى خانته شجاعته ـ أن يستقيل ويفر من جواتيمالا. وهكذا أنقذت جواتيمالا. ومن وجهة نظر نقاد وكالة المخابرات المركزية، أنقذت لصالح الشركة المتحدة للفواكه، أما من وجهة نظر المدافعين عن وكالة المخابرات المركزية، فإنها تصرفت بالتحديد لكى تحول دون أن يكون للشيوعيين موطئ قدم فى العالم الجديد.

كان إقصاء الشيوعيين عن السلطة فى أمريكا اللاتينية أسهل كثيراً من إقصاء السوفييت من أوروبا الشرقية. وقد وعد وزير الخارجية «دالاس» بالتحرير ولكنه فشل؛ فلم تصلح سياسة حافة الهاوية، أو الوسائل المعنوية، فى تحرير واحد من العبيد، أو فى منع فيتنام الشمالية من الاتجاه إلى الشيوعية.

وفى احتفالات أعياد الميلاد فى ١٩٥٥، بعث البيت الأبيض رسالته المعتادة إلى شعوب أوروبا الشرقية، «أن أمريكا تدرك حقيقة المحن التى تعانون منها»، و «مشاركة إيمانكم بأن الصواب سينجح فى النهاية، فى جذبكم مرة ثانية الى الدول الحرة فى العالم». وعندما اشتكى خروشوف من أن هذا «التدخل الفج» لم يكن متوافقاً مع

روح جنيف، أصدر البيت الأبيض بياناً أشار فيه إلى أن هدف التحرير هدف دائم : «إن التحرير السلمى للشعوب الأسيرة ما زال، وسوف يظل ـ حتى ننجح فى ذلك ـ الهدف الرئيسى للسياسة الخارجية للولايات المتحدة» .

كانت سنة انتخابات الرئاسة قد بدأت وكما حدث فى ١٩٥٢ فقد حقق بيان «الشعوب الأسيرة» النجاح للحملة الانتخابية. ولسوء الحظ لم تعرف بعض الشعوب الأسيرة كيف تميز بين ما تضمنته الحملات الانتخابية من كلمات رنانة وبين السياسة الفعلية، إذا كانوا على وشك المطالبة بأن تفى الولايات المتحدة بوعودها بالتحرير.

obeikandl.com